الفصل الأول

الخلط الخطير ما بين الجاذبية والجمال

obeikandl.com

obeikandl.com

١- جمال الشكل المطابق

ما الذي يدفع البعض إلى هذا الدرك في البحث عن مظهر افتراضي ينفي ما هم عليه حقيقة؟ ولم هذا السعي المرضي لاستحواذ الجمال؟ وكيف يمكن للبعض الآخر طلب الشروع في جراحة تعمل على تبديل بعض مظاهر الوجه مثلاً بلا أية أسباب فيزيولوجية حقيقية سوى الانسياق وراء أوهام الجمال المفروض تجارياً من خلال مسابقات الجمال المنمّط ومقاييسه وسعفه الذهبية؟!

هل هو من قبيل الوسواس القهري مثلاً؟ أم بنتيجة ضغوطات اجتماعية تسويقية تجعل من الهيئة مطلباً مُلحّاً وظاهرة للإبهار كما في ممارسات البيع التجارية؟

لا شك في الأمر تضليل بيّن يحجب عن الناظر خلجات الكثيرين في "شراء" الرغبة في محبة الآخرين لهم وإعجابهم.

عندما يصل المرء إلى هكذا قرار فهو يبحث عن قوة الذات التي يفتقدها.. بين رُهاب التماهي ونشد المحاكاة.

هو يبحث عن رأسمال يدخل بموجبه السوق ليكسب و يخسر فيخضع نفسه بذلك للتبعية وتبعاتها وقد يلقى بنفسه طواعية في سوق جديدة للنخاسة.. برسم أفكار تسلطية جسدية فائقة الإتقان والإخراج.

إن جاذبية الإنسان الحقيقية ليست حساباً ولا تخضع للمقاييس بمفهومه.

يعتبر وجه المرء (وجسده) جميلاً عندما ينضحُ بالحياة في تعبيره عن البهجة كما في الحزن، عن القوة كما في الضعف وفي كل حالات نبض القلب وكهرباء الدماغ التي لا تشرى ولا تباع.

الجاذبية الإنسانية لا تأسرها الحسابات لأنها طريقة لحياة الذات بحرية كالروح حقيقة.

كل مرحلة من مراحل الذات تكسبنا إمكانات جديدة تختلف عن سابقاتها، نجهلها ولكنها متصلة بخيط حريري باطني على مسار الحياة كلها:

obeikandl.com

إننا محصلة ما كنا عليه وما لا نعرف ما سنؤول إليه. وعلى هذه الشاكلة تبدو الحياة وكأنها مغامرة يتجلى وجهنا (وجسدنا) على أثرها انعكاساً حياً صادقاً لما كنا وما نحن عليه وما سيكون حتماً وفي كل لحظة انعكاساً لنا في محطات قطار حياتنا الباقية.

الجاذبية الإنسانية هي قبل كل شيء قبول الذات والثقة بها إلى حد إطلاق العنان لها في التعبير والفعل دونما قيد أو شرط ولا يخلو ذلك بالطبع من مطبّات بل مخاطر تتميز بنكهة الذات التي لا تقربُ نفسها تماماً ولا تتمثل غيرها بالضرورة.

إن مقدرة كهذه لا يمكن أن تُكتشف بتقليد صور مُعّدة للبيع والتسويق على الطريق بل بالممارسة الشاقة للحرية من خلال شخصية متميزة.

يمكن للجمال الطبيعي أن يساعد على ذلك وتحسينه كتصحيح أنف أو ذقن أو شفة مشقوقة ولكن عملية التصحيح بحد ذاتها تُبعد المرء عن مركز الذات وتحول دون التصالح معها، بهكذا تدخل خارجي.

عندما يلجأ البعض – ومن النساء ما يفوق الرجال – إلى عمليات "تجميلية" جراحية فهم عملياً في وضعية طلاق مع الذات وعقد قران هذه الأخيرة على ذات شبه إنسية.

إنني أتوق في هذه المقاربة وهي نتاج فصلٍ من التفكر إلى توفير فهم بيولوجي لجاذبية الإنسان وعلاقتها بالذات مفتاح الجمال.

تعرفت خلال سنوات طويلة إلى عدد كبير من الرجال والنساء وأود أن أقول وبكل رقة وبساطة بأنه لا تظهر النساء جميلات بدون تعابير جميلة وجاذبيات حقيقية. وأنه من خلال لقاء أو حديث يتردد ويطول تتكشف للمرء المصادف والمرتاح جاذبية كامنة كبيرة لا علاقة لها بهيئته بالضرورة.

إن الخشية من توصيف الآخر لنا هي مصدر القلق المتنامي والموقع في شباك الرغبة في البحث عن جمال صوري مزيف. هذه الرغبة خطرة لأنها قناع يحول دون التعبير الطبيعي عن الذات ويحرف حب الذات عن مجراه فتستحيل الجاذبية. إن هذه

obeikandi.com

الرغبة تأسر بل تهوس على الأغلب وهي استجابة على العموم لضغوطات نفسية واجتماعية من النوعية غير الصحية.

فهل يمكن لهذه الرغبة أن تمحي أثر الزمن في نفسك ونفسي بخفته وثقله؟

هل يمكن لهذه الرغبة أن تعدم الروح في جسد لتبعث فيه روحاً جديدة وقد جئنا إلى العالم الحي بروح واحدة وراجعة أصولاً؟

وهل من ينظر في المرآة ليرى نفسه يرى روحه؟

وإذا كانت الروح تقبل الجراحة فعلاً فلا بد من البحث الحثيث عن نسيجها، وسيطول ذلك بالتأكيد لما بعد تسليمها أصولاً. ومن يعتقد ذلك إنما هو واهم ومجحف بحق روحه الفطرية التي تسكن جسده وتحيا على وقع الأيض في خلايا أنسجته كلها حتى تأذن الساعة للرحيل.

الجمالُ المنمّطُ سلعة بائرة لمرضاة الروح الحائرة.

كذب على الذات وكذب على الآخر في الذات.

عندما يخضع الطفل للأوامر والأوامر المضادة من قبل ذويه أو المشرفين عليه وموجهيه في المدرسة وغيرها يبدأ بتعلم الكذب وربما تصديقه وهو يفعل ذلك لاحقاً تحت الضغوطات الاجتماعية وحتى السياسية أيضاً.

معركة الذات مع تلك الأوامر والأوامر المضادة مشكلة قد تترك آثارها وندباتها على هالة المرء وفي جسده أيضاً فتظهر تشويهاً للذات والذاكرة وعدواناً عليهما ويستوجب ردّه بل نفيه عنهما.

وغالباً ما تكون نظرة الآخر إلينا سيّدة الموقف تتملكنا لتوقعنا في صراع مرير مع الذات وتنال من توازننا وترمي بنا في أخاديد الحماقة.

كمن يرى في تعديل شكل الأنف كسب معركة على الآخر بقهر الذات وتطويعها وهو ما يجول ببنات أفكار الكثيرين ممن طرقوا باب الجراحة التجميلية ومنهم من تحمل الأمرّين في سبيل ذلك.

أو ليست أخاديد الذاكرة أثبت وأرحم؟

obeikandl.com

إننا نعيش في عصر العنت العقلاني وتفوق الأنا في عالم تحفه الخيبة من كل صوب.

عالم الجمال واحد من هذه الحدود التي بدأت تتسلل عبرها مشارط أطباء بالجملة في تنميط الوجه والصدر والمؤخرة كذلك.. صنائع هؤلاء الأطباء اللاهثين باتت مرئية للعيان ولكنها تبقى صنائع لا تقبل المحاكاة بالحياة التي ترفل دونما مرآة.

إن الألم في الذات والألم في الظهور على سطح الذات طوران لحالة واحدة "والخلطة" منهما شديدة الانفجار.

إن محاولة مسح الألم أو آثاره على أقل تقدير تمسّ إلى حد كبير بخصوصية الفرد العميقة وكل عبث بالأثر الظاهر ينال من الجوهر على كل حال ويعمل على تبديل الجاذبية الطبيعية. وأتساءل عندما أسمع ببراعة الجراحة التجميلية واعتبارها فناً، عن نوعية الإنسان الذي أذعن راضياً لذلك العبث بذاكرة جلده ولحم جسده وبخصوصية تعابير وجهه ونظراته الآتية من بعيد في روحه. وهي خيانة للحقيقة وأكاد أشعر بالخيانة حلوليّاً.

قد لا نشعر على الدوام بتلك الخيانة ولكنها بمرورها في وسطنا وتحت ناظرنا ندخل فيما يشبه الخيانة "الحلولية" أي المُنسلة نفوذياً على الرغم منا وما تتهيّب له قناعاتنا.

حالة من المرارة تحرك ما فوقنا وما تحتنا وحسبي ألا تمسّ بالضرورة ما بيننا حتى تثبت علاقتنا صدق الجاذبية.

وللرجل أحياناً مسؤولية أكيدة في مسألة هذا الخلط ما بين الجمال – الشكل والجاذبية- وغالباً ما يوقع المرأة في هوس البحث عن إعجابه ولو بمشرط جراح متدرب لرغبتها في المحافظة على دوام إعجابه وتملّكِه "بجمالها".. خوفاً عليه من الوقوع في شِباك "جمال" منافس.

للرجل مسؤولية أكيدة في عدم نقل صورة للجمال الذي يريد بأمانة وهو غالباً ما يتخبط هو الآخر في تقديره لوجوه النسوة أمام ناظريه في الحياة العامة حيث تشرأب الأعناق للجمال – الشكل والشباب "الدائم" والجاذبية الإغرائية وقد استبدلت المرأة بالأنثى.

نحن في عصر فقد الرجلُ فيه المقدرة على إغواء المرأة في حين تبحث هذه الأخيرة على الدوام في أسره بجمالها وأسر غيره.. وتستطيع.

وتسود حالة من الحتّ العاطفي في بيت الزوجية:

فقدَ الزوج الرغبة في التجدد عاطفياً كما فشل في التعايش الجاذبي مع زوجته فباتت هذه الأخيرة تعمل على تنميط "جمالها" بغية تشجيعه أو ردّه إليها.. أو عرضها لمغنطة غيره.

وكأنما العلاقة ما بينهما آلت إلى صورة للذكرى!

نكاد نجد أنفسنا في زمن يصبح الأزواج فيه أزواج ذكرى والزوجات أطلالاً لزمن مضى.

ومع ذلك ترددت في الآونة الأخيرة أصوات نسائية قبل غيرها تنذر بالخطر القائم على اعتبار المرأة مسئولة عن ذلك. وتدعي – وهي على حق تماماً- بأن مخططات تصنيع وتنميط الجمال إنما بدأت بأيدي الرجال أنفسهم سعياً وراء الربح التجاري في المقام الأول.

ومن الأصوات النسائية ما يدعو بالمقابل إلى نوعيّة أفضل في العلاقة ما بين الرجل والمرأة وفي حدود الإعجاب المتبادل أول مرة وفي رحاب الخيار الأول.. خيار الروح.

خلط الجمال بالجاذبية يهيئ لانمساخ ينفصل من جراءه الجمال عن الجاذبية لا محالة مما يعني بالضرورة الحسية تهميش بل تغييب الجمال المفترض "بتلبيسه" ثوب الجاذبية بمقاس آخر كما يظهر للعيان في اللوحات الإعلانية لتحقيق مآرب في الاقتصاد والصناعة والإنتاج وربما في السياسة.

obeikandi.com

٢- متى يصبح الجمال جاذبية؟

يتعرض الجمال الذي يمكن نعته بالعادي – أي الذي يعرف حدوده ما بين الجمال والجاذبية – إلى ابتزاز المؤسسات المستحكمة بالدعاية في مجتمعات العصر، والتي بدأت تركز بشكل فاضح على الجمال – الجسد.

أصبح الجسد ذو هالة وتعظيم لا يضاهى وكأن له سحر وقدسية لا سيما في عالم التسويق الذي لا حدود له بدءاً بالألبسة مروراً بالعطور وانتهاءً بالمآكل والمشارب المختلفة.

أجساد شابة جميلة ولكن فارغة، فراغ هذه الأجساد يؤهلها بامتياز لمثل هذه الأدوار، والذي يحدث هو أن الواحد أو الواحدة من عامة الناس قد يتمثل باطنياً هذا الفراغ التام ويشتري السلعة "الطُعم" لعدم قدرته على "استهلاك" الصورة التي تعرضها.

سلطة الدعاية هذه تستمد قوتها من أمثال هؤلاء الذين يعيشون فراغ الأنفس ولها ما يؤازرها بشدة من صحف ومجلات وتلفزيون وانترنيت وسينما ورياضة والنقل الجماعي وفي الشوارع والطرقات وطرقاً على البيوت باستثناء الكتاب وفنون المسرح.. ولكن إلى متى؟

ولا يرحمنا من تلك المشَاهد إلاّ الابتلاء بعمى إرادي، ولكن إلى أية درجة يمكن ذلك؟

تجتاح الدعاية حياتنا الخاصة والعامة بشكل غير مسبوق بهدف الزعزعة والحض على احتياجات جديدة بالاعتماد على الشعور الطبيعي بالنقص من قبل بعد المستهدفين المستضعفين أصلاً في حياتهم.

إن التربية العائلية والمدرسية لا تقي شر هذه الدعاية بل تساعد عليها في بعض الأحيان وغالباً تمعنُ بعدم إعطائها الحيز اللازم لها بالتساؤل والتحليل والإجابة.

لقد ترسخت عند الناس عامة صورة الجمال المثالي وعمل الإعلام كذلك على الخلط ما بين هذا الجمال – الشكل والجاذبية بعرضه صوراً جميلة مبتهجة سعيدة مشرقة متساوية أو أنها جميلة ولكن متمردة..

openkanal.com

فالسعادة هاهي.. أمامك فتشبّه يا مواطن!

إن الوقوع في شرك فخ كهذا يعني الوقوع في أبشع صور وجودنا والتحول ذاتياً إلى مجرد كائنات غير راضية مزمنة. ومن هنا نشأت لدى البعض من النساء "الفارغات" وسوسة الاستعانة بالجراحة التجميلية.

٣- الجمال والجاذبية:

للجمال ثلاثة أبعاد:

البعد التكويني والبعد التاريخي والبعد الجغرافي.

أي أن الجمال بإحداثياته ثقافي يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأوساط المحيطة وقد عمل على ترسيخه فنانون كثر بعدما استلهموه في لحظة تأمل إنسانية، إلى أن ظهرت في القرن الماضي ثقافة ما يسمى بالنجوم كمقياس أو نميط للجاذبية الجمالية الأمر الذي يتطلب عملاً بنائياً دؤوباً حول شخصيات نرجسية لا تقف عند منتصف الطريق.

إن الجمال النجومي هذا غالباً ما يستديم لوقت بالصيانة وهو في الغالب لا صلة له بالجمال النابع من جاذبية. إن الجمال قبل أي شيء حالة تأثرية شعورية تنتاب المرء على أثر نظرة أو تأمل وقد يكون خطراً على الجميل نفسه بتعرضه للاستغلال والملاحقات والضغوطات كافة من قبل من يعتبرون الجسد سبيل سلعة.

ويبقى المخرَج من هذه الإشكالية اعتماد الجاذبية الحقة، فعندما يمتزج الجمال بروح الجاذبية تزداد مقاومته فيقع الرائي ضحية الساحر الذي يجذب ويخيف ويحتوي من يدور بفلكه.

٤- كيف يُعدّ الجمالُ سلعة للبيع

تعتمد شركات إنتاج مستحضرات التجميل إلى تكريس نظرة الجاذبية لبيع منتجاتها عن طريق الصورة الدعائية والتي تحشرُ المنُتَج أو تعبئه في جمال أجوف..

فالصورة الدعائية هذه تحرك المشاعر باتجاه الرغبة في اقتناء المنتج المقترح ولا يوجد حدود بعد لمثل تلك الممارسات في البيع لا سيما فيما يتعلق بالهدف الجمالي

obeikandl.com

كأن تُظهر لنا صوراً لفاتنات شبه عاريات يلتقطن أنفاسهن أمام صبغة شعر عادية أو شامبو ربما مزيف تجعل منهن حوريات تأخذن بالألباب.. وأية ألباب!

أو تعرض لنا لوحات إعلانية من الجنسين في وضعيات إغرائية ورغبات ضمنية لتسويق الألبسة الداخلية وبعض صرعات العطور وأحمر الشفاه وغيرها..

كما لاحظنا مؤخراً صوراً لشابات تظهرن متمردات لتسويق التمرد عن طريق بعض التقليعات كالجينزات والاقراص المدمجة والسيارات الفارهة وغيرها..

لقد أضحت صورة الجمال المُنمّطّ قاعدة ثمينة للحض على الاستهلاك من أي نوع، الأمر الذي يجعلها خطرة لتأثيرها على الأنظمة الاجتماعية وعلى القوة الشرائية للأفراد وما قد تثيره لدى الكثيرين من إحباطات.

إن الهدف من هذه العملية برمتها هو البيع أي "فبركة" ظاهرة الحاجة نفسها.

فهل فقد الناس قدرتهم على التصوّر، أم أنهم أصبحوا يُؤخذون بالتماثيل والأقاويل ليقعوا في أحابيل سوق للرقيق والابتزاز؟

أم أننا أمام دكتاتورية من نوع جديد: دكتاتورية الإعلان المحرض على طلب "الجمال".. جمال منتجات مخابر التجميل ومعاهده المتخصصة، جمال ترقيعات بعض أطباء الجلدية وجمال بسطات محضرات الحمية وموائد التخسيس؟! *

---

* التداخل الشخصي مع اضطرابات الأكل:

مثل اضطراب فقدان الشهية العصبي أو القهم العصبي حسب ترجمة تصنيف منظمة الصحة العالمية العاشر أو اضطراب الضور أو الشره المرضي أو العصبي أو النهام العصبي حسب ترجمة تصنيف منظمة الصحة العالمية العاشر (١٩٩٩ صفحة١٨٧-١٩٢).

- المريضة بالقهم العصبي ينطبق عليها ما يمكن تسميته بالانشغال الوسواسي القهري بالنحافة وتفعل أفعالاً قهرية في الكثير من الحالات مثل أن تجد أن عليها وزن نفسها مرتين في اليوم أو بعد كل وجبة طعام..

كما أنها تقف أمام المرآة عارية لتتأمل وتتفحص مناطق تجمع الدهون في جسدها، وكيف تتغير حسب النظام الغذائي الصارم الذي يكاد يخلو من العناصر المغذية.

ثم إن هناك من تشتكي بانشغالها الوسواسي بكمّ السعرات الحرارية الموجودة في كل ما يصل فمها من أطعمة بحيث لا تستطيع التوقف عن هذه الأفكار بغية الحصول على هيئة منمطة.

oberkanal.com

إننا نعيش في عصر يتعاظم الطلب فيه على الإغراء بكل أشكاله ولكل أعماره، وكل واحد فينا هدف لإغراء يستهدفه. لقد أخذ جمال المرأة منذ عدة عقود يتفتق بصورة مستقلة عن إرهاص وتمرد وبات أقرب إلى الإثارة منه إلى الرغبة الذاتية في الظهور والغبطة.

نفسُ الحرية هذه فردي دخيل ويتصف بالخروج على المألوف ويتنامى اليوم متشَحاً بالفوضوية والتحللّ. انتهزت وسائل الإعلام والدعاية هذه الظاهرة لتنقض على حرية المرأة من جديد وتزج بها وبنا في سوق الجسد راضين مكرهين.

وهنا يكمن الخطر لاسيما في الأوساط القلقة والتي لم تحسم أمرها والتي ترى في الصورة الدعائية ملجأً لنزوعها وإسقاطاً لها على كوامنها وظلالها العتمة. دكتاتورية الإعلان حكم قائم في أيامنا ولكن بوسع الكثيرين تحقيرها أو الإفلات من سيطرتها برفض بضاعة الجمال هذه أولاً وكشف مروجيها من أخصائيي تنميط الجمال ومصممي بعض الأزياء وتجارة الجراحة التجميلية وسعاة أنظمة الحمية والبيولوجيا الجلدية لتفادي آثار الترهل والتشوه.

- وكذلك المريضة بالنهام العصبي التي تتصف بوجود نوبات من فقدان التحكم في كمّ ونوعية الأكل تسمى بنوبات الدقر (أو اليويو) أو الأكل الشره ويليها على الفور قيام المريضة بالتقيؤ الذي تستثيره بنفسها بإدخال إصبعها أو كفها في فمها والضغط على الجزء الخلفي من اللسان.

والكثيرات من مريضات النهام العصبي يعانين أفكاراً وسواسية تتعلق بهذه النوبات بقدرتهن على منعها مقابل عجزهن عن ذلك.

كل هذه الأفكار والأفعال القهرية المصاحبة لاضطرابات الأكل توحي بعلاقة ما بالوسواس القهري ما دامت متعلقة في محتواها بالأكل أو متابعة رصد الوزن أو شكل الجسد أو الصورة العقلية للجسد.

obeikandl.com

obeikandl.com